نصب الاب كاتن

خطاب الاستاذ الفرد نقاش

وكان من مجالي العيد الاحتفال بتدشين نصب فقيد الرسالة اليسوعية العظيم المرحوم الاب لويس كاتن ، الذي قضى في هذه الاقطار زهاء نصف قرن كان فيه في مقدمة اليسوعيين دأباً على العمل في سبيل بلادنا . فكان من الحق ان يدشّن تمثاله يوم العيد المئوي الفخيم . فانتقل ذاك الجمهور الحافل ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، الى المكتب الطبي حيث اقيم التمثال في باحته الواسعة تحف به الاشجار المختلفة . وهو تمثال نصفي نُحت من الرخام الفرنسوي في وادي الرّون بازميل نحّات مسيحي ، ورُفع على قاعدة من الحجر اللبناني الجميل ، فاتى رمزاً لحياة الفقيد العزيز : رجل الكنيسة ، ورجل فرنسة ، ورجل لبنان .

وقد افتتح الحفلة حضرة الاب شانتور ، رئيس الرسالة ومدير المكتب الطبي ، فتلا اولاً برقية من صاحب السعادة سعيد ذو الفقار باشا ، رئيس التشريفات في البلاط الملكي المصري ورئيس جمعية قدماء طلبة اليسوعيين في مصر ، ملؤها عواطف حنينة وتمنيات وتعبير عن اشتراكه واشتراك زملائه اعضاء جمعية قدماء الطلبة في العيد المئوي ، وبعد ان طوى البرقية القى خطابه . ثم تبعه كل من السادة : الدكتور الشيخ حنا الخازن تكلم باسم المتخرجين من المكتب الطبي ؛ فالاستاذ الفرد نقاش ، مستشار محكمة التمييز ، باسم جمعية المتخرجين في كلية القديس يوسف ؛ فاوغست باشا اديب ، رئيس الوزارة اللبنانية ، باسم الحكومة اللبنانية ؛ فالسيد هللو مندوب المفوّض السامي وممثل المفوضية . واننا ننشر في ما يلي تعريب خطاب الاستاذ الفرد نقاش :

سيدتي

سادتي

في حزيران سنة ١٩٢٩ ، بضعة ايام بعد فقدنا من نحتفل اليوم بذكراه ، عبّرنا عن رغبتنا في ان نخلّد اسمه بنصب نقيمه في كلية القديس يوسف . أوَ لم تكن الكلية مجال عمله خاصةً ، أوَ لم يكن من الواجب ان نثبت ذكره هناك ؟ .

ولكن ، وان يكن المكتب الطبي ، بعد منازعات طويلة ، خرج ظافراً فاحتفظ بتمثال مديره السابق ، وان يكن هذا الاطار الاوفر خلوةً اجدر من غيره بتواضع الكاهن ، فان شهرة الاب كانّ تضيق عنها هذه الدائرة.

وليس من يعجب بان يكون من عرفناه معلماً لا يبادله آخر أثر مروره في هذا المكان اثراً دائماً . على انه يظلّ في نظر البلاد جمعاء « المهذّب » الذي عمل بكل قواه على خدمتها. وقد لا يكون بين جميع من انصرفوا الى اعمال التهذيب في لبنان من عادله في حبّ الطلبة لـه واحترامهم اياه في آن واحد . ولهذا امتاد تلامذته القدماء ان يدعوه « بالاب » فحسب ، وهو لقبه الممتاز.

أوَ لم يصرّح لنا بنفسه ، قبل ان يدخل حياة الخلوة والاعتزال في تضاليل التي لم يتركها الا لملاقاة ربه ، فقال : « لقد انحصر عمل حياتي بتهذيب الاولاد والشبّان. »

وقد قام بهذه الرسالة ، زهاء نصف قرن بلا كلل ولا اضطراب . فتنقل بين ادارة الدروس ورئاسة المدرسة ورئاسة الرسالة ، وهو في جميع مواقفه يبذر ويستثمر في الوف النفوس الخاضعة لتأثيره العميق ، المبادئ السامية التي كان يعطي في حياته مثالها الصالح.

وكان يقرن بهذه السلطة النافعة لطفاً ورقة يشجوننا حتى الآن ذكر مفاعيلها.

ومن منا لم يشعر — وبعضنا شعر بطريقة فعّالة - بنتائج تأثيره الصالح وبانتشار محبته . ومن لا يذكر العناية التي كان يحيطنا بها جميعاً ، وتلك العاطفة السامية الشجية المتأثرة امام الالم والموت ، وذاك الكلام المحرك الذي كان يتصاعد من اعماق نفسه.

* * *

وكان للبنانيين ان يكونوا اول المنتفعين بهذا العمل الملآن الواسع النطاق. على ان كثيراً غيرهم من القادمين من قلب الشرق نحو الكلية التي كان يديرها، نحو تلك المنارة القائمة على شاطئ المتوسط ، كانوا يحملون ، في عودتهم ، ذكرى ذاك الوجه المشعّ وذاك التعليم السامي.

وكان من حظّ الكثيرين ممن عرفهم صغاراً ان يراهم كباراً في جمعية

التلامذة القدماء ، وقد اصبح رئيساً لها . فامكنه ان يتابع عمله ويتبع في تطاريح الحياة تلامذته ، او كما كان يحب ان يدعوهم ، « اصدقاءه الاعزاء » . وكان يتذكرهم واحداً واحداً من اولهم الى آخرهم على رغم عددهم المتكاثر وعلى رغم الافتراق والبعد . فكان يرافقهم بالفكر بين الحوادث والرجال ، فيأخذ نصيباً واسعاً في افراحهم وتقدمهم ونجاحهم ، وفي معاكسات الحياة لهم ايضاً . واذ كانت واجبات المهنة تبعده عن مدينتنا ، كان لا يفتأ يستطلع عنهم ، فيقلق لقلق من كانوا يقاومون صعوبات المعيشة فيلتجئون اليه مدفوعين بعامل الفطرة . وكأنهم كانوا يشعرون انه قادر على تخليصهم في جميع الاحوال او على الاقل على مساعدتهم .

* * *

قام الاب كاتن بتهذيب عدة اجيال من اللبنانيين مخصصاً جميع قواه لازدهار مواهبهم ، فكان من الطبيعي ، شاء ذلك ام ابى ، ان تفيض شخصيته القوية عن العمل المدرسي ، مهما كانت اهميته ، فترتدي ، في بعض ظروف الحياة ، منحة وطنية شعبية . وهكذا ، دون ان يظهر بمظهر السياسة المعروف ، بل بفضل مواهبه العاطفية والروحية ، زاه اخذ ، منذ البدء ، يعمل ويساعد على انشاء اثر من آثار العدالة والايمان ، على خلق لبناننا هذا الذي احبه بكل قواه .

فتذكاراً لهذا الاخلاص العظيم ، وتلبيةً لرغباته الخفية ، رأت جمعية التلامذة القدماء ، سنة ١٩٢٣ ، ان تخصص من تبرعات اعضائها مبلغاً يُحبس ريعه في سبيل كراسٍ مجانية يستفيد منها ابناء من اخنى عليهم الدهر من رفقائنا . فكان انشاء هذا المشروع الذي عُرف « بمؤسسة الاب كاتن » داعياً لعقد جلسة لا يزال ذكراها في اذهان الحاضرين ، وقد حضرها الاب كاتن نفسه ، فالقى فيها خطاباً تضمن اسلوباً تاماً للسير في المشروع . ولا تزال نذكر هذه الكلمات التي قالها بصوت متهدج يطنّ في آذاننا حتى اليوم : « اني اقدم كل قلبي في سبيل شكركم . وانتم اعرف بهذا القلب منذ اربعين سنة . فهو لم يتغير بينما ارى كل شيء فيّ يشيخ بسرعة . على اني اشعر ، كلما اعدت النظر الى وجوهكم المحبوبة ، ان القلب لا يزال لكل منكم ما كان لكل منكم في

الماضي . . كانت محبة تلامذتي ، في المدرسة ، من اقوى دوافعي الى العمل في سبيلهم . وستكون محبة تلامذتي القدماء من اعذب افراحي في ايام عزلتي .»

ومرّت ست سنوات ، قضاها في العزلة والتأملات . حتى كان صباح من ايار سنة ١٩٢٩ ، فاتجه فريق من التلامذة القدماء الى تمثايل ليقوموا بزيارة المعتزل الجليل . وكانت قواه قد اخذت تنحطّ منذ اشهر ، على ان قلبه كان لا يزال ينبض نبضه في ايام الحياة الملأى بالعمل والجهاد . فلما عرف بوصولهم خرج اليهم على رغم تحذير الاطباء . فتدفقت عواطف تلك الشبيبة الحارّة في استقبال عظيم كان شديد التأثير في نفس الشيخ ، فاندفع يخطب فيهم ملقياً كلمات الوداع لانه كان يشعر ، كما قال ، انه ، هذه المرة ، اصبح على باب حياته الخالدة .

وقد فارق العالم بعد ذلك ببضع ساعات تاركاً في سبيل تلاميذه آخر نبضات قلبه .

وهي اعجوبة من عجائب العناية الالهية ان تكون حياة الاب كاتن ، في الزمن الذي قيّض له العمل فيه ، مقرونة بحياة هذه البلاد وحياة شبيبتها . واننا لنفاخر بذلك ، ونشكر الله كل الشكر !